يستطيع خدمة مصالحه(٩) بوضع سياسة خارجية ملائمة ، وهكذا جاء كيسينجر ليعمل مستشارا للرئيس نيكسون لشؤون الامن القومي في مرحلة كانت تفرض الحاجة الى وضع حد للتورط الامريكي في فييتنام . وكان على كيسنجر ان يحقق لبلاده « انسحابا مشرفا » ، ويحقق لها في نفس الوقت ضمانا بأن لا تسقط فييتنام الجنوبية في يد الشيوعيين ، ولا يكون الانسحاب على حساب اضعاف مركز أمريكا في المنطقة ، ولحساب تقوية مركز قوة منافسة اخرى وهي الاتحاد السوفييتي ، دون أن يخل ذلك باتجاهات التهدئة وبسياسة الانفراج الدولي .

وقد حاول كيسنجر بكل ما لديه من قدرات وطاقة ان ينفذ هذه السياسة ، وذلك بحل المشكلة الفييتنامية على أساس « الفتنمة » وسحب القوات الامريكية ، مع تجميد الموقف على ما كان قائما عليه عند توقيع اتفاقيات باريس حول فييتنام في ٢٧ يناير (كانون الاول) ١٩٧٣ بل والعمل على تحسين هذا الوضع لصالح حكم الجنرال فان ثيو في سايجون .

وهكذا فرضت مشكلة فييتنام ، أو مشكلة أمريكا في فييتنام ، نفسها على كيسنجر ، لتكون أول أعماله ومن أهمها في منصبه مستشارا للرئيس لشؤون الامن القومي .

من ناحية أخرى ، بالنسبة للشرق الاوسط ، أبدى كيسنجر نوعا من عدم الاكتراث بالموقف ، لانه قابل للانتظار ، وغير مهدد بالانفجار ، وتركه في يد وزارة الخارجية لتعالجه بأساليبها التقليدية المعروفة . السبب في ذلك ان كيسنجر اعطى أغلب اهتمامه لمشكلة فييتنام ، ولدعم سياسة التهدئة مع السوفييت ، ورأى ان العرب غير قادرين على شن القتال ، بحيث يمكن أن تطول سياسة « اللاسلم واللاحرب » لمدى أطول ، وعندئذ لن يملك العرب الا أن يأتوا الى مائدة المفاوضات وهم راغمون ، يقبلون ما يعرض عليهم .

والحقيقة ان هذه هي الصورة التي حاول كيسنجر أن يشيعها خاصة منذ حرب اكتوبر (تشرين الاول) عن موقفه تجاه الازمة في الشرق الاوسط ، وعشية الحرب تماما كان يدعي انه لم يفتح ملف هذه القضية بعد ، ويمكن أن يفعل ذلك بعد الانتخابات الاسرائيلية . ويريد كيسنجر من وراء ذلك الايهام بأن حرب اكتوبر قد غيرت موقفه وموقف بلاده تماما ، ونقلته من حالة عدم الاهتمام الى الاهتمام ، ومن تأييد اسرائيل الى موقف آخر .

ولكن كثيرا من الوقائع المعروفة لا تخدم تصوير كيسنجر هذا ، وتؤكد أنه كان يلعب بيده ، بشكل او آخر ، في مشكلة الشرق الاوسط ، ومن هذه الوقائع ما يلي :

أولا : منذ تولى كيسنجر منصب مستشار الرئيس لشؤون الامن القومي ، حدد مجموعة من القضايا كرس لها جهوده وجهود مجلس الامن القومي ، وكانت قضية الشرق الاوسط واحدة من هذه القضايا(١٠) . وقد أعاد كيسنجر تنظيم هيئات مجلس الامن القومي بحيث أصبح يشرف بنفسه على اغلب فروعه الهامة ، مثل « لجنة الاربعين » التي تتولى الاشراف على كل العمليات السرية لاجهزة المخابرات الامريكية في كل جهات العالم ، و« مجموعة واشنطن الخاصة للعمل » التي تدير الازمات العالمية الطارئة او المفاجئة نيابة عن مجلس الامن القومي او الى حين انعقاده ، وأثناء مذبحة أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ في الاردن ضد الفلسطينيين ، تولت هذه المجموعة ادارة الموقف(١١) وكان كيسنجر نفسه هو الذي وافق على أن تتدخل اسرائيل ضد سوريا اذا تدخلت القوات السورية ضد الملك حسين .